ثقافات العصر الحجري الحديث في ليبيا
(الثقافة الليبية القفصية أنموذجاً 7000 – 5000 ق.م)

د. توفيق مسعود الهادي راشد / قسم التاريخ / كلية الآداب الاصابعة ـ جامعة غريان

Research entitled: Neolithic cultures in Libya
(Libyan Qafsid culture as a model 7000 - 5000 BC).

Search summary:
Civilization: It is the result of the effort made by ancient man during the prehistoric eras, which developed from one era to another according to the effort made by ancient man in making his stone tools. This civilization The Upper .ranged between the lower, middle and upper Paleolithic eras. Paleolithic stage is considered one of the most important periods of the Stone Ages and one of its most important stages. Because it represents the summary of the effort made by ancient man through its various stages, which brought ancient man to the stage of food production and the Neolithic Age, During this era, many ancient civilizations appeared that were identified through archaeological sites located in Libya, including: Hqfat al-Tira, Hqfat al-Dabaa, and the Efteh Air Cave. Among those civilizations is the Libyan Qafsid civilization, which replaced the Oranic civilization, and which we will talk about in this article. Searc
Keywords:
Civilization, Stone Ages, archaeological sites, Libyan-Qafsid civilizationh.

ملخص البحث :

الحضارة : هي نتاج لجهد بذله الإنسان القديم خلال عصور ما قبل التاريخ التي تطورت بين عصر وآخر وحسب الجهد الذي بذله الإنسان القديم في صنع أدواته الحجرية، وتدرجت هذه الحضارة بين العصر الحجري القديم الاسفل والاوسط والاعلى، وتعد مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى من أهم فترات العصور الحجرية ومن أهم مراحله؛ لأنها تمثل خلاصة الجهد الذي بذله الإنسان القديم عبر

مراحله المختلفة والتي أوصلت الإنسان القديم إلى مرحلة إنتاج الطعام والعصر الحجري الحديث، وخلال هذا العصر ظهرت العديد من الحضارات القديمة تم التعرف عليها من خلال المواقع الاثرية الموجودة في ليبيا، ومنها: حققة الطيرة، وحققة الضبعة، وكهف هواء أفطيح ، ومن تلك الحضارات الحضارة القفصية الليبية، التي حلت محل الحضارة الوهرانية، والتي سنتحدث عنها في هذا البحث .

الكلمات المفتاحية: الحضارة ، العصور الحجرية ، المواقع الاثرية ، الحضارة الليبية القفصية

المقدمة :

الحضارة هي نتيجة مباشرة لمجهودات الإنسان وسلوكه وتفكيره ، وترتبط مرحلة تكوينها بمدى تطور الإنسان في تجاربه عبر حياته منذ طفولته وحتى مرحلة رجولته ،إضافة إلى وراثته لتجارب ممن سبقوه ، وتسير الحضارات جنباً إلى جنب في مجال تطور الإنسان المادي والفكري إلى أن تصل إلى مرحلة متقدمة في شتى المجالات الصناعية والاقتصادية ، وإذا كان الإنسان بطيئًا في تطوره الجسماني فقد كان سريعًا في تطوره الثقافي ، وتعد ثقافات العصر الحجري القديم من أقدم الثقافات التي عرفها الإنسان القديم وإن أقدم الشهادات على وجود الإنسان الأول في منطقة المغرب القديم هي الأدوات الحجرية التي استعملها ذلك الإنسان في مجالات شتى مع بقايا الحيوانات التي كانت تسكن المنطقة قديمًا فظهرت تداعياته واضحة على التمازج الثقافي والتواصل الحضاري بين مناطقه ؛ نتيجة انتقال الإنسان دون صعوبة من شمال أفريقيا إلى وسطها ومن شرقها إلى المحيط الأطلسي في الغرب، وهو المجال الذي أطلق عليه المؤرخ الاغريقي هيرودوت اسم ليبيا .

لقد تنوعت علاقة الليبيين مع غيرهم من الشعوب مما أدى إلى تنوع تاريخهم من ناحية وتنوع مصادره من ناحية أخرى ، ولذلك نجد تاريخ ليبيا مرتبطاً ارتباطًا وثيقًا بتاريخ قرطاجة ونوميديا والمغرب ؛ وإن المنطقة كانت واحدة تسمى المغرب القديم، وليس هناك فواصل طبيعية بين دوله ، ومن هنا يكون أصل الإنسان واحدًا وتاريخ المنطقة الثقافي والحضاري واحدًا وخير دليل على ذلك تلك الثقافات التي قامت خلال العصر الحجري الحديث في الصحراء الليبية عنوان هذا البحث التي تعطي صورة واضحة لإثبات الارتباط والعلاقة بين مناطقه ، وتكون المخلفات الأثرية الشاهد على هذه العلاقة وتطورها منذ أزمنة موغلة في القدم، وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نبذة عن الموقع الجغرافي لليبيا .
المبحث الثاني : العصور الحجرية في منطقة المغرب القديم .
المبحث الثالث : الحضارة القفصية الليبية .

نبذة عن الموقع الجغرافي لليبيا :

كان لموقع ليبيا الجغرافي المهم أبلغ الأثر في تاريخها الطويل، فهي تتوسط شمال قارة أفريقيا ،وتتوغل لمسافات بعيدة داخل هذه القارة ، وتعد حلقة اتصال بين حضارات العالم القديم وأعرقها بين الشرق والغرب، ومنها الشام ووادي النيل في الشرق ، وحضارات بلاد الإغريق في الشمال ، وكذلك حضارة الصحراء الكبرى جنوبًا ، ويشير المؤرخ الإغريقي هيرودوت إلى أن الإغريق قسموا العالم إلى ثلاث قارات ،هي : أوربا ، وآسيا ، وليبيا(1) ومعنى ذلك أن اسم ليبيا كان يعني لدى الإغريق كل ما كان معروفًا من قارة أفريقيا ،وقتها ذلك أن اسم أفريقيا لم يكن معروفاً ، آنذاك وقد حدد هيرودوت حدودها بأنها تمتد من بحيرة مريوط إلى رأس سولوجوس(*) وجعل هيرودوت بحيرة تريتونيس(خليج قابس) حدًّ فاصلًا بين مجموعتين من الليبيين إحداهما تعيش إلى الغرب من هذه البحيرة ، وهم مزارعون اشتغلوا بالزراعة وآلفوا حياة الاستقرار ، والثانية تعيش إلى الشرق من هذه البحيرة ، وقد زاولوا حرفة الرعي ، وهم بدو رعاة(2) وهذا ليس اختلافًا عرقياً ، وإنما هو اختلاف في نوع الحياة ، وقد أكدت المخلفات الأثرية في عصور ما قبل التاريخ أن ليبيا لم تكن منعزلة عن محيطها، بل كانت متصلة بالمناطق المجاورة لها، وكانت منطقة عبور بين شرق القارة وغربها وجنوبها ؛ لعدم وجود فواصل تمنع تلك الهجرات البشرية من العبور من منطقة إلى أخرى ،ولم تأتِ تلك الهجرات دفعة واحدة ، ولم تكن على نمط واحد في كل عصر، بل كانت على شكل هجرات متعاقبة تمخض عنها ظهور ثقافات وحضارات على الأرض الليبية والتونسية ، ومنها الحضارة التي سميت بالحضارة القفصية الليبية التي تعد من أهم الحضارات التي ظهرت في منطقة المغرب القديم ، وتعد منطقة ليبيا وتونس منطقة واحدة خلال عصور ما قبل التاريخ وهي ضمن الإطار الجغرافي لمنطقة المغرب القديم ، حيث لا توجد فواصل طبيعية تعيق تحرك الجماعات البشرية ، وهذه الرقعة الجغرافية تمتد من الغرب من شط الجريد ، وهي بحيرة مالحة وضحلة ، وقد أشار باتيس إلى أن هذه البحيرة ربما كانت على اتصال مباشر بخليج قابس قديمًا (3) .

لقد ظل اسم ليبيا يطلق على كل هذه المنطقة أمدًا طويلًا حتى تدمير قرطاجة في تونس من قبل الرومان عام 146 ق.م حيث أطلقوا عليها ولاية إفريقيا الرومانية ، ومنها اقتصر اسم ليبيا على المنطقة الواقعة إلى الشرق من أفريقيا الرومانية(4) .

العصور الحجرية في منطقة المغرب القديم :

مرت منطقة المغرب القديم أو ما يعرف بالشمال الإفريقي كغيرها من مناطق الحضارات القديمة بعصور ما قبل التاريخ بمراحله المختلفة ، وقد استمرت هذه المراحل منذ ظهور الإنسان في منطقة المغرب القديم ، وحتى نهاية العصر الحجري الحديث ، وسميت تلك العصور بالحجرية لأن الإنسان اعتمد على الحجارة بالدرجة الأولى في صنع أدواته ، وقد قسم المؤرخون عصور ما قبل التاريخ في المغرب القديم إلى ثلاثة أقسام؛ لتصبح دراستها سهلة ، وميسرة وقد تطور خلالها الإنسان في منطقة المغرب القديم من مرحلة إلى أخرى، وظهرت إبداعاته الثقافية في كل عصر تولد على ذلك كله ظهور ثقافات حضارية استقرت في مناطق متفرقة من المنطقة المذكورة ، وسنتحدث عن هذه العصور بمراحلها المختلفة ، ومنها :

العصر الحجري القديم الأسفل(الأقدم) :

يعد هذا العصر من أطول فترات العصور الحجرية ، تمكن خلالها الإنسان من صناعة بعض الأدوات الحجرية المصنوعة من حجر الصوان(الظّران) وقد عرفت بالأدوات الصوانية المصنوعة من النواة ، وليس من الشظايا ، ويعد حجر الصوان أكثر الأحجار قابلية للتشكل المنتظم لصناعة حد قاطع أو طرف مدبب كما أنه كان أكثر انتشارا في الطبيعة فكان الإنسان يجده حيثما تنقل من مكان إلى آخر(5) وهي أقدم مصنوعات صنعها إنسان المغرب القديم، وقد تميزت حياة الإنسان في هذا العصر بالتنقل من مكان لآخر بحثًا عن غذائه ، واعتمد على الجمع والالتقاط حتى أطلق على هذا العصر (عصر جمع القوت) ولهذا السبب كان استقراره في الكهوف والأودية والآبار مؤقتًا ، وقد طور الإنسان حياته بصناعة بعض الأدوات الحجرية المصنوعة من حجر الصوان أهمها صناعة الفؤوس اليدوية

شكل(1)

(شكل1) يمثل الفؤوس الحجرية اليدوية من حجر الصوان. نقلا عن خزعل الماجدي ، كنوز ليبيا ، ص56 .

التي وجدت في مناطق متفرقة من ليبيا أشهرها بئر دوفان(**شكل2**) أحد مصبات رافد وادي المردوم وبعض الأودية، منها وادي درنه، ووادي النجا(6).

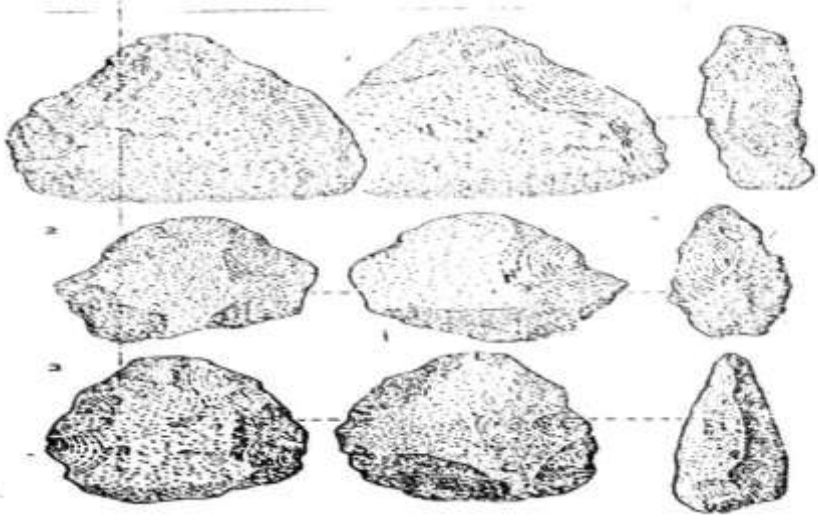

(شكل2) أدوات حجرية وجدت مبعثرة عند بئر دوفان . نقلا عن خزعل الماجدي، مرجع سابق، ص54 .

ويشير بعض الباحثين إلى أن تسميتها بالفأس اليدوية خطأ ، بل هي كتلة من الصوان لها قاعدة مناسبة لقبضة اليد وملساء لا تؤذي كف اليد ، ويشَطّب طرفها ليكون له حافة ، وأحيانًا تشكل مثل بيضة النعام ، وتكون مشذبة من وجه واحد وأحيانا من الوجهين ، ثم تطورت الفأس اليدوية فأصبحت تشبه الكمثرى لها طرف مدبب(7) ومن أهم الحيوانات التي وجدت في هذا العصر النعام وبيضه(8) ويشير بعض الباحثين على

أن الأدوات التي صنعها الإنسان في هذا العصر قد أطلق عليها أسماء غير محلية ، مثل :الحضارة الأشولية، والاشيلية(9) اعتقادا منهم أن هذه الأدوات قد وجدت في المناطق التي سميت باسمها ، مثل أشول ، وشيل بفرنسا، وعليه فإن منشئي هذه الثقافة ربما قدموا من أوربا ، وهذا الاعتقاد أصبح لدى الباحثين غير مقبول بعد اكتشاف تلك الأدوات في مناطق الشرق القديم ، وشبه الجزيرة العربية ،ثم انتقلت تلك الثقافة إلى مناطق متفرقة من ليبيا ، مثل : هواء أفطيح وفي برقة(المرج) ، وغيرها ، ولا يمكن أن تكون تلك الأدوات بأي حال من الأحوال قد قدمت من مناطق في أوربا في تلك الفترة لعدم اكتشاف الملاحة البحرية بعد، وإن وجود تلك الأدوات في شمال أفريقيا قد جلبها المهاجرون معهم من الشرق لعدم وجود موانع طبيعة تمنع التنقل بين الشرق والغرب ، وكان التنقل يتم عن طريق شبه جزيرة سيناء أو باب المندب(10).

العصر الحجري القديم الأوسط :

تطور الإنسان في عدد من التجارب مكنته من الانتقال إلى عصر جديد ، وهو العصر الحجري القديم الأوسط حيث تفنن في صناعة أدواته الحجرية المتمثلة في صناعة الشظايا التي كانت تتطلب وقتًا وجهدًا كبيرين من الإنسان، وقد وجدت أدوات هذا العصر في المنطقة الممتدة من ليبيا شرقًا حتى المحيط الأطلسي غربًا ، وتدل أقدم هذه الأدوات المصنوعة على تطور الإنسان وتقدمه ، وقد وجدت عند بئر العاتر ، وأطلق عليها الباحثون اسم الحضارة العاتيرية نسبة إلى المكان الذي وجدت فيه تلك الأدوات لأول مرة ، وهو بئر العاتر(11) ثم وجدت العديد من تلك الادوات في مناطق متفرقة من ليبيا منها وادي غان بجبل نفوسه ، وفي واحات الداخلة والخارجة في مصر ، وقد أطلق عليها خطأ اسم الثقافة الموستيرية التي عاشت مع الثقافة الأشولية أواخر عصرها وربما تأثرت وأثرت فيها وقد انحدرت هذه الثقافة من فلسطين على أرجح الآراء ، ثم انتشرت في مناطق متفرقة من ليبيا وإن تسميتها بالموستيرية كان بسبب تشابه في الأدوات الصناعية ، ولكن بعد دراسة للمخلفات الأثرية التي قام بها ريجاس تأكد أن هذه الأدوات عاتيرية وآن آساسها بئر العاتر، وتختلف تلك الأدوات عن الثقافة الموستيرية في كونها أكثر تطورًا من الثقافة الموستيرية ، ونظراً للتواصل الثقافي والحضاري بين الشرق والغرب فقد وجدت الأدوات العاتيرية متناثرة في مناطق متفرقة من ليبيا منها هواء أفطيح الذي ربما كان ملتقى للثقافات لكونه سكنًا بسبب موقعه الجغرافي المهم بين الشرق والغرب مما أدى إلى قدوم العديد من الجماعات البشرية والاستقرار فيه ، ثم تركه لتأتي مجموعة أخرى ، وهكذا وكل

مجموعة لها ثقافتها وأدواتها ، وقد تأكد لدى العديد من الباحثين أن هذه الثقافة وأصحابها قد قدموا من الشرق بسبب تشابه في صناعة النصال في الصحراء الليبية مع النصال، التي وجدت في الشرق القديم(12) .

يبدو أن الإنسان في هذا العصر قد استعمل بجانب الحجر الأخشاب والجلود والعظام وأصبح يدرك بوجود قوة خفية تتحكم في البشر والحيوان والنبات والطبيعة عامة ، وانتشرت تلك الأدوات في كافة أرجاء المغرب القديم ، فقد وجدت في الجبل الأخضر الذي أصبح بمثابة جسراً لانتقال تلك الأدوات من الغرب إلى الشرق أو العكس ، وقد اختلف العلماء في أصل هذه الحضارة ، وتوصلوا إلى أن أصحابها قد أتوا من الشرق أم من شبه الجزيرة العربية ، أو من منطقة الشام على شكل جماعات بشرية ، أو أفراد ، وذلك لتشابه الأدوات بينها وبين التي اكتشفت في منطقة المغرب القديم وأن تلك الجماعات البشرية التي عاشت في الشرق كانت على اتصال مستمر بينها وبين مناطق المغرب القديم ، وقد أثرت وتأثرت بالمجهودات الصناعية والثقافية الموجودة في منطقة المغرب القديم يعلل ذلك تشابه الإنسان الليبي القديم مع إنسان فلسطين، وهذا يؤكد وجود صلات عرقية بين ليبيا وفلسطين(13) .

العصر الحجري القديم الأعلى :

تطورت حياة الإنسان في هذا العصر تطوراً جذرياً ، وقد ساد الإنسان العاقل في هذا العصر وظهرت معه صناعة النصال الحجرية ، ويعد هذا العصر فاصلاً بين نمط الإنسان القديم والإنسان الحديث الذي انحدر منه الإنسان في الوقت الحاضر، وظهرت أدوات هذا العصر في الكهوف والملاجىء التي لجأ إليها الإنسان، وقد وجدت في هذا العصر أدوات شبيه بالأدوات التي وجدت في الشام التي تعرف بالصناعات العمرونية مما يعلل التواصل الثقافي بين مناطق الشام ومناطق المغرب القديم ، وتمثلت تلك الأدوات في ليبيا في الحضارة الضبعانية التي سميت بحضارة الدبة نسبة إلى كهف الضبعة وكهف الدبة ، ويشير البعض إلى أن هذه الثقافة قد سبقت الحضارة الوهرانية والقفصية، وربما تكون الحضارة القفصية التي انتشرت في ليبيا جزء من هذه الحضارة ذلك أن الحضارة الليبية القفصية ظهرت في ليبيا، وحلت محل الحضارة الضبعانية ويعد أصحاب الثقافة الضبعانية أبناء عمومة الثقافة الليبية القفصية التي انتشرت غرباً(14)

لا شك أن التواصل الثقافي والحضاري بين الشرق القديم والمغرب القديم قد أسهم في قيام تلك الثقافات التي سبق ذكرها ، والنتيجة أن الأصل لهذه الثقافات واحد،

والإنسان؛ واحد، يعلل ذلك عدم وجود فرق بين الأدوات الحجرية وصناعاتها التي وجدت في الشرق، وبين الأدوات التي وجدت في مناطق المغرب القديم، وكذلك بالنسبة للتشابه البشري.

الثقافـــــــــة الليبية القفصية :

الحضارة الليبية القفصية حضارة عريقة يشير كامب إلى أنها ظهرت حوالي سنة 7000 ق.م وانتهت خلال 5000 ق.م تقريبًا أي أنها امتدت من الألف الثامن إلى الألف الخامس قبل الميلاد(15) بينما تشير ديزانج إلى أن هذه الحضارة قد انتهت حوالي عام 4500 ق.م(16) ويمتد مجالها الجغرافي من البحر الأحمر شرقاً حتى المحيط الاطلسي غربًا ومن البحر المتوسط شمالا حتى الصحراء الكبرى جنوباً وتركزت ادواتها الحجرية في كهف هواء أفطيح الذي يعد نموذجاً للثقافة الليبية القفصية، وفي قفصة جنوب تونس الحالية، وأسهمت هذه الحضارة في قيام الحضارة السرتية ، ثم انتقلت إلى مناطق متفرقة من برقة ؛ لتحل محل الثقافة الوهرانية(17) التي ظهرت في وهران وهذه المنطقة كانت منطقة واحدة ، وتوزع أصحاب هذه الثقافة في المناطق الداخلية كالهضاب المرتفعة ، وحول البحيرات ومصادر المياه(18) بعكس ابناء عمومتهم أصحاب الثقافة الوهرانية التي استقر أصحابها على السواحل ، وسميت بهذا الاسم لاكتشاف أدواتها الأولى في موقع المقطع في مدينة قفصة بتونس(19) وقفصة مدينة رومانية قديمة، تقع في إقليم قسطيلة شمال شط الجريد في تونس(20)

يرجع الفضل في اكتشاف أدوات هذه الثقافة إلى العالم الفرنسي دي مورجان(21) الذي اكتشف أدواتها الأولى في قفصة ، وكان أصحاب هذه الثقافة يتغذون على القواقع؛ يؤكد ذلك ما عثر عليه من تلال حلزونية مستهلكة في مناطق سكناهم حتى سميت حضارتهم باسم حضارة الحلزونيات الرماديات(*)(Escargotieres)(22)

(شكل3).

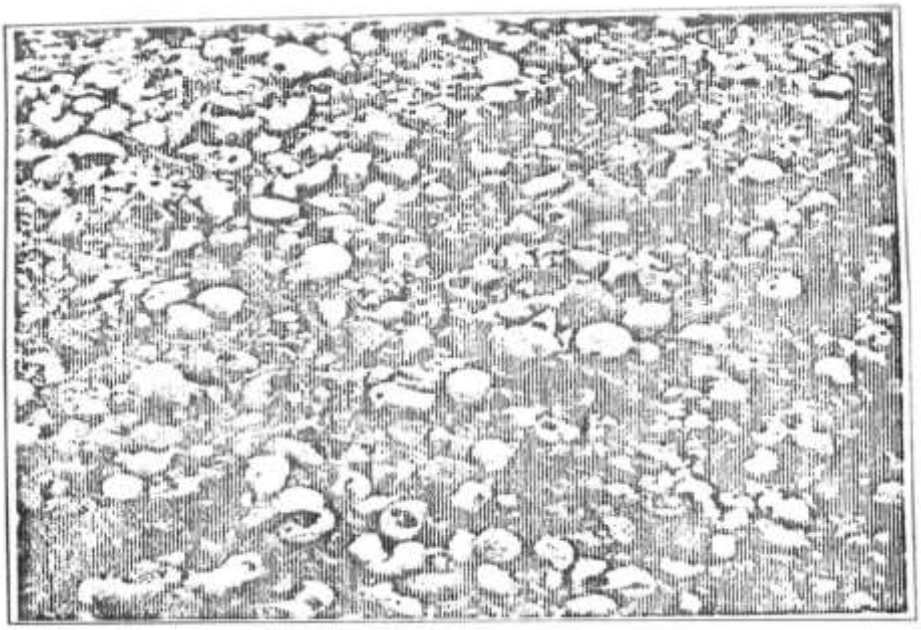

(شكل3) مجموعة من الحزونيات أو الرماديات غذاء أصحاب الثقافة القفصية. نقلا عن خزعل الماجدي، مرجع سابق ، ص94.

وتنقسم هذه الحضارة إلى طورين هما القفصية النموذجي، وتشمل صناعتها أدوات كبيرة من النصال، والأزاميل الحادة، والشفرات المهذبة الحافة، والمكاشط ذات الأطراف البارزة

(شكل4)

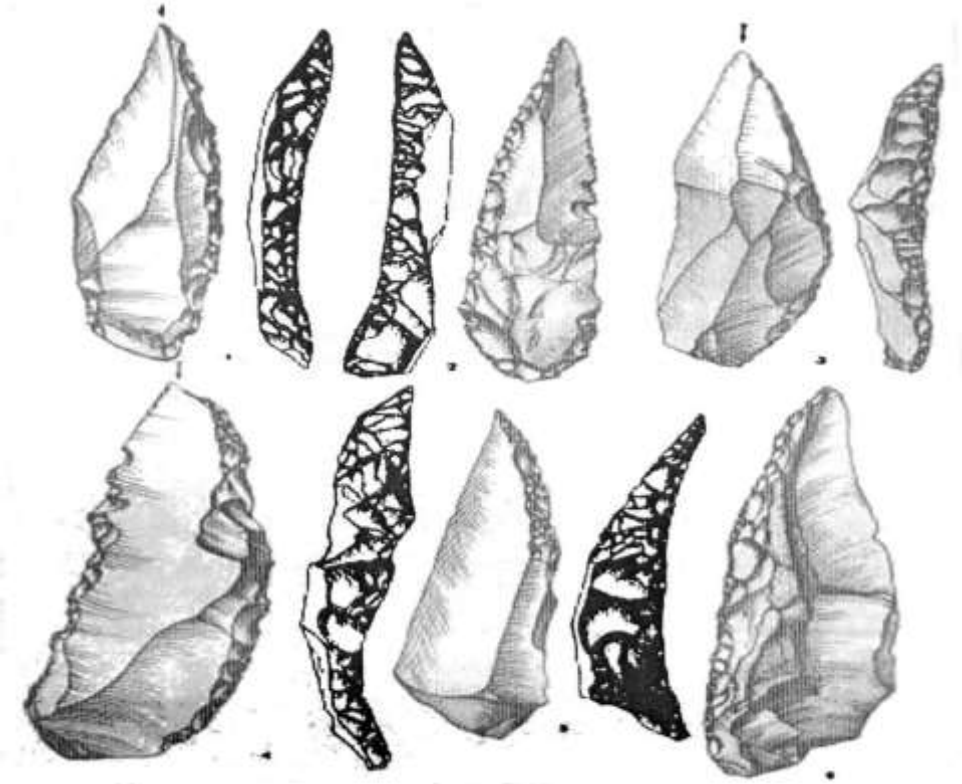

(شكل4) شفرات وأزاميل للطور القفصي النموذجي، أتقن الإنسان القفصي صناعتها.
نقلا عن محمد غانم ،حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى ، 2003 ، ص101 .

والقفصية العليا التي تميزت صناعتها في الأدوات القزمية التي اتخذت أشكالًا هندسية

شكل(5)

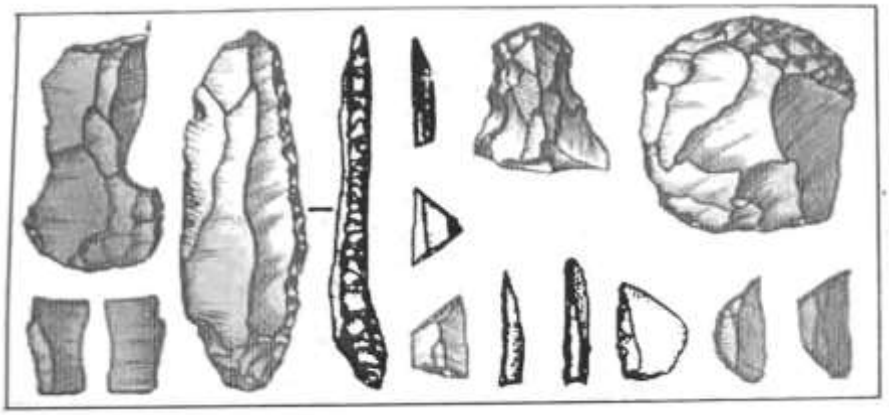

(شكل5) يمثل أدوات عظمية قفصية عليا. غانم ، مرجع السابق ، ص102 .

ويشير العرباوي إلى أن هناك خلاف بين الباحثين حول هذين الطورين هل هما معاصران لبعضهما أم أن الطور الأول أقدم من الطور الثاني ؟ غير أن أقدم الآراء ترشح الطور الأول هو الأقدم حضاريًّا (23) .

لقد تأكد وجود أدوات هذه الثقافة أيضاً في قورينائية (Cyrenacia)(24) وكهف هواء أفطيح حيث عثر من خلال الحفريات التي قام بها ماكبرني في كهف هواء أفطيح في إحدى طبقاته على صناعات حجرية قفصية تماثل ما عثر عليه في المواقع القفصية ، وقد أطلق عليها ماكبرني اسم الثقافة الليبية القفصية(25) ؛ مما يعلل على أن إنسان تلك الثقافة واحد ، ومن أهم أدوات هذه الثقافة كانت المكاشط الكبيرة المعقوفة والأزاميل والمخارز ، وهناك أدوات عظمية مصقولة تمثل إبرا وسكاكين وقواطع كما استعمل الإنسان القفصي بيض النعام الذي كانت بقاياه كثيرة ، وهي غالبًا محروقة ، وكان بيض النعام؛ يثقب لغرض أن تعلق؛ ليتم الاستفادة منها في عدة مجالات

شكل(6)

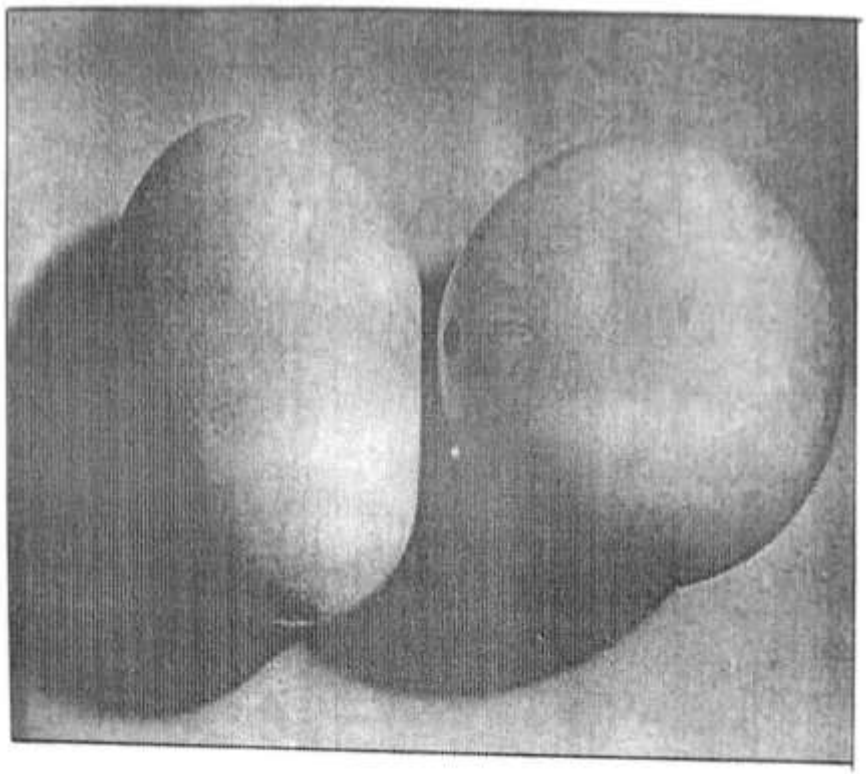

(شكل6) يوضح بيض النعام الذي أستعمله الإنسان القفصي في أغراض شتى. غانم ، مرجع سابق ، ص124.

منها أواني الشراب وفي الزينة(26) أيضاً اشتهر أصحاب هذه الحضارة بصناعة الشفرات وبالنصال ذات الرؤوس المدببة التي يبلغ طولها من 10 إلى 15 سم ،التي صنعت من حجر الصوان، وعرف أصحاب هذه الثقافة أيضاً صناعة القوارير والأكواب والقدور، ولم تكن النصال القفصية مستقيمة بل كانت مقوسة الشكل كما وجدت أيضًا مثاقب وأحجاراً خادشة من الحجم الكبير غير المألوف بالنسبة للأدوات الحجرية الصغيرة وكانت الحصي المثقوبة والمستديرة الشكل تستعمل كرؤوس للهراوات أو للعصي التي كانت تستخدم في البحث عن جذور النباتات

شكل(7)

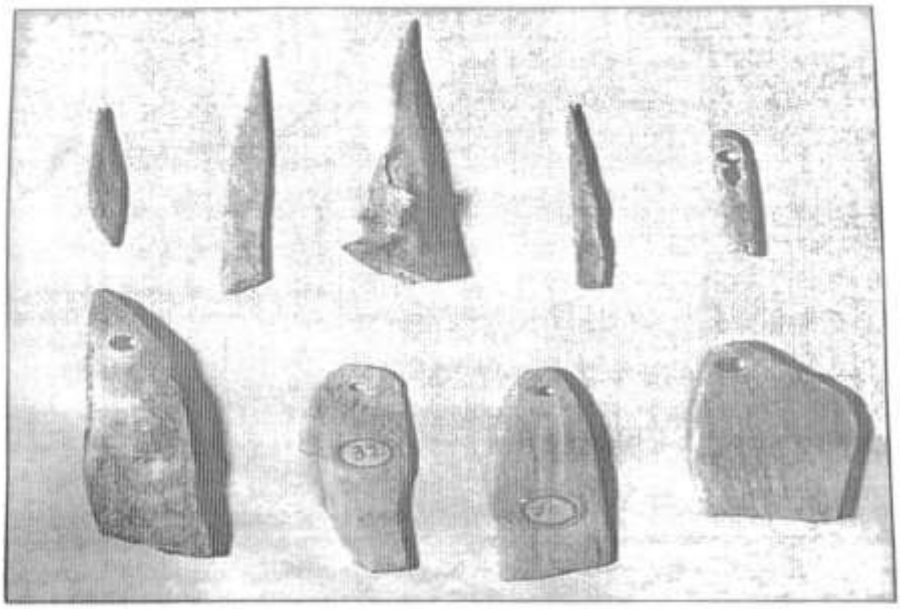

(شكل7) يوضح بعض الأدوات الحجرية المثقوبة التي أستعملها الإنسان القفصي في عدة أغراض .

نقلا عن غانم ، مرجع سابق ، ص128 .

أم الأدوات المصنوعة من عظام الحيوانات فكانت تشبه إلى حد كبير تلك الأدوات التي صنعت في مرحلة الثقافة الوهرانية وربما كانت الحضارتين واحدة رغم اختلاف الأسماء التي نسبت الى المناطق التي وجدت فيها الأدوات الحجرية لأول مرة(27) .

لقد استقر القفصيون في العراء، ثم عرفوا السكن في الكهوف الصخرية، والأكواخ المعدة من القصب، وأغصان الأشجار المدعومة بالطين، كما سكنوا أكوام الرماديات أو الحلزونيات ، و بعض هذه الأكوام يبلغ قطرها حوالي 100 م ،وارتفاعها أكثر من ثلاثة أمتار، كما يشير الباحثون إلى وجود شفرات مناجل حصاد ؛ مما يعلل على وجود حبوب برية كانت تستخدم في التغذية(28) ويؤكد خزعل الماجدي ذلك بقوله إن الصناعات الليبية القفصية امتازت بصناعة النصال واستعمال العظام كخرز وحلي ، كما استعمل بيض النعام في أغراض شتى ، وتشير الأدلة إلى أن هذه الحضارة حلت محل الثقافة الضبعانية الليبية الأصل؛ نتيجة لتأكيد وصول تحركات بشرية بين الشرق والغرب والعكس(29) .

لقد كانت الصناعات الليبية القفصية هي المسيطرة رغم وجود بعض الثقافات والحضارات الأخرى كالضبعانية مثلًا (30) وهكذا كانت هذه الثقافة من أهم ثقافات العصر الحجري القديم الأعلى(31) .

الإنسان القفصي :

يعد الإنسان القفصي من نوع الإنسان العاقل لكنه مغايرًا تمامًا لإنسان مشتى العربي(صاحب الحضارة الإبيرمغربية)**شكل(8)** في أن الإنسان القفصي أقل قوة وهو قصير القامة وعظام الإنسان القفصي أقل وضوحًا وعظامه أقل سمكاً وهيكله أكثر نحافة(32) وتدل الهياكل العظمية التي عثر عليها في مواقع الحضارة الليبية القفصية إلى أن الإنسان القفصي كان يحمل ملامح زنجية استنادا على ما ذكره ديودور الصقلي(Diodore de Sicile) في روايته لحملة آجاثوكليس(Agathocle) في أن هناك أقوام يشبهون الأثيوبيين في منطقة التلال التونسية(33) وربما كانوا من جنس البحر الأبيض المتوسط ، ورغم أن الهياكل العظمية المكتشفة بالمواقع الليبية لم تحظ بمواصفات دقيقة إلا أن القفصيين ينتسبون إلى الإنسانا لعاقل(8)

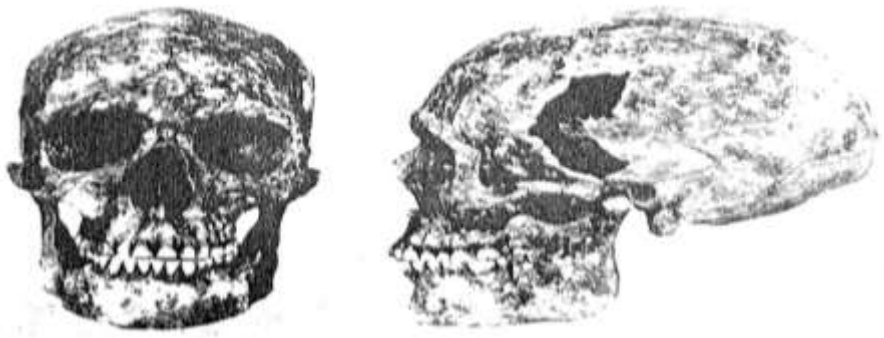

(شكل8) يمثل جمجمة الإنسان قفصة . جيهان ديزانج ، البربر في أفريقيا الصغرى(تاريخ أفريقيا العام)مج2، جين أفريك ، اليونسكو ، ص437 .

وقد مارس الإنسان القفصي صقل الحجارة في صنع الكرات المثقوبة التي ربما كان يستخدمها في طحن الحبوب البرية ، وإن لم يثبت معرفته للزراعة ، وقد مارس القفصيون عادة غريبة، وهي عادة خلع الأسنان، وإن لم يعرف الهدف من ذلك ، ويختلف الخلع بين الرجل والمرأة(34) وقد تعددت الآراء حول الأصول المفترضة للقفصيين : بعض هذه الآراء تشير إلى أنهم من جنس البحر المتوسط أي أنهم مهاجرون قدموا من جنوب إيطاليا أو الجزر المجاورة لها مثل صقلية ، غير أن هذا

الاحتمال بعيد ؛ نظرًا لعدم وجود تواصل عبر البحر في تلك الفترة أي أن هذه الثقافة ظهرت قبل بداية الملاحة البحرية ، وتشير ديزانج إلى أن أصحاب هذه الثقافة ربما قدموا من شمال السودان ووادي النيل تحت ضغط من الشعوب المهاجرة(35)، وربما يكون هذا الاحتمال صحيحًا لوجود هجرات بشرية قادمة من الشرق دخلت السودان ، ومنها اتجهت نحو الشمال استنادًا على ما ذكره كامب في أن مجموعات سكانية قدمت من الصحراء ، واتجهت نحو الشمال ، واستقرت بمنطقة الصحراء الليبية(36) بينما ترجح بعض الآراء الأصل الشرقي للقفصين ، وهذا الرأي في سياق الرأي السابق، ذلك أن أصحاب هذه الحضارة ربما كانوا مهاجرين من اليمن أو فلسطين أو مصر كما جاء من قبلهم الوهرانيون ، وهؤلاء استقروا في المناطق التي وصولوا إليها وظلوا مستقرين في مناطق سكناهم حتى بداية العصر الحجري الحديث(37) ويؤكد هذه الحقيقة كامب بقوله "إن لهؤلاء القفصيين أصلًا شرقيًا وأن وصولهم بلغ من القدم تجعلنا نقول أنهم محليون حقيقيون"(38) .

وتضيف ديزانج أن القفصيين هم أبنا عمومة مع أصحاب الثقافة أم الضبعانية أو الوهرانية وهذا يعلل ما ذكر في السابق بأن الحضارة واحدة رغم اختلاف المسميات(39) . في حين يعتبرهم كامب بأنهم محليون أصليون ، وهم الأساس لسكان المغرب القديم استقروا في مناطق شاسعة منه ، وهذا يعلل تنوع السكان في مناطق المغرب القديم حسب وصفه ، ويمثلون أسلافًا لسلالة من المجموعات السكانية بعضها قليل العدد ، وبعضها كثيرة العدد(40).

وتتميز الثقافة الليبية القفصية بميزة تختلف عن بقية الحضارات ، وهي النقش على قشور بيض النعام وتم صياغتها في حبات لاستخدامها في عقود الزينة فقد كانت الأحجار القفصية المنحوتة معروفة ، وهي عبارة عن أشكال مخروطية الشكل من الأحجار الجيرية ، وجدت على جدران كهوفهم ، وهي ذات أشكال هندسية أو مثلثات أو خطوط مستقيمة ومنحنيات(41) مزينة أحياناً بأقنعة إنسانية أو رؤوس حيوانات؛ يعلل ذلك وجود تمثال صغير لإنسان يقتصر على الرأس والرقبة على شكل مخروطي(42) .

وهناك أيضًا بعض الأسلحة المصنوعة من الشظايا الصوانية ، والشفرات ، والمحكات والأزاميل(43) أم عن الحيوانات التي كانت موجودة فربما كان الإنسان القفصي يصطادها ومنها الحيوانات التي كانت موجوده بالصحراء الليبية كالضباء ، والثيران ، والفيلة ، ووالغزلان ، والزرافات، والأرانب، وغيرها .

الدين : لقد ساعدت الظروف إنسان هذه الحضارة على التقدم الاجتماعي والعقلي، فقد كان يدفن موتاه ،الأمر الذي يؤكد ظهور الواعز الديني من خلال نحت وصناعة التماثيل ، وليس هناك معلومات على ديانة القفصيين، غير أن بعض الحفريات أثبتت وجود طرق مختلفة لدفن الموتى مما يعلل أن هناك معتقدات كانت لديهم منها الاعتقاد بأن هناك حياة أخرى بعد الموت ، وكانوا يدفنون موتاهم بأوضاع مختلفة منها الوضع الجانبي مزينة بحجر المغرة، ومعهم بعض الأدوات والأواني التي ربما يحتاجها الميت بعد وفاته(44) .

الخاتمــة :

من خلال هذه الدراسة يتضح الأصل العربي لسكان المغرب القديم ، وأن الحضارات القديمة التي ظهرت في مناطق متفرقة من المغرب القديم سواء في ليبيا أو تونس أو الجزائر كانت ناتجة عن هجرات بشرية قدمت إلى المنطقة من الشرق القديم ،ربما من شبه الجزيرة العربية التي أصبحت في يوم من الأيام منطقة طاردة؛ بسبب الجفاف وصعوبة الحياة فيها أو من الشام ، وقد خرجت تلك الهجرات سالكة طريقين : أحدهما باب المندب ، والآخر شبه جزيرة سيناء وقد جلب هؤلاء المهاجرون معهم صناعاتهم وتقاليدهم وثقافاتهم ، واستقروا في المنطقة الممتدة من البحر الأحمر، وحتى المحيط الأطلسي ، واندمجوا مع من وجدوهم من السكان المحليين ، وقد ترتب على تلك الهجرات اختلاف في صناعة الأدوات واللهجات الأمر الذي تمخض عنه ظهور الحضارات ، ومنها الحضارة الليبية القفصية التي تعد من أهم الحضارات التي أسهمت في التواصل الثقافي والحضاري بين ليبيا وتونس ، وقد انتشرت شرقا لتحل محل الثقافة الضبعانية في ليبيا، كما حلت هذه الحضارة محل الثقافة الوهرانية في الجزائر، ونتج أيضاً عن امتزاج العناصر البشرية المهاجرة بالعناصر السكانية المحلية إلى ظهور التشكل السكاني في مناطق المغرب القديم من خلال ذلك التواصل الثقافي ، والحضارات التي ظهرت ليس لها علاقة بالصناعات التي ظهرت في أوربا ؛ لأن في فترة ظهور تلك الثقافات لم تكن الملاحة البحرية قد عرفت بعد وأن الاتصال بين الشعوب كان برا فقط ، وعبر الممرات المعروفة كباب المندب ، وشبه جزيرة سيناء رغم إيحاء البعض بأن ذات أصول أوربية لتشابه الادوات.

لقد كانت العلاقة بين ليبيا وتونس في عصور ما قبل التاريخ علاقة سلمية اختلفت عن حدودها الشرقية تمثل في الاتصال القديم بين المناطق ، وقد نتج عن هذا الاتصال

وجود مؤثرات حضارية بين الليبيين والتونسيين على السواء وأن أقدم الشهادات بوجود الإنسان وتطوره في المنطقة هي الأدوات الحجرية والأسلحة التي عثر عليها مع بقايا الحيوانات التي كانت تسكن هذه المنطقة ، وترجع هذه الأدوات إلى العصور الحجرية القديمة، وهناك تشابه كلي بين الأدوات التي عثر عليها بمنطقة المغرب القديم والشرق القديم؛ مما يعلل بأن المنطقة شهدت هجرات متتالية تمخض عنها وجود صناعات أدخلت عليها تحسينات محلية نتج عنها ظهور حضارات التي تحدثنا عن إحداها في هذا البحث

الهوامـــــــــش :

(1) هيرودوت ، الكتاب الرابع ، ت، محمد المبروك الذويب ، منشورات جامعة قار يونس ، 2003 ، الفقرة 42، .

(*) رأس سولوجوس هو رأس سبارتك اليوم ويقع جنوبي مدينة طنجة المغربية على المحيط الأطلسي . مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، المطبعة الأهلية ، بنغازي ، 1969 م ، ص1 .

(2) هيرودوت ، المصدر السابق ، الفقرات 186 ، 187 .

(3) أوريك باتيس ، الليبيون الشرقيون ، ت، محمد اومادي ومروة شحاتة ، دار الفرجاني ، 2015 ، ص19 ، 20 .

(4) رجب عبد الحميد الأثرم ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ، منشورات جامعة قار يونس ، 1994 ، ص 11 ، 12 . (5) - عبد اللطيف أحمد علي ، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، مكتبة كزيدية اخوان ، بيروت 1971 م ، ص53 ،54 . . وكذا ف. د . دياكوف / كوفاليف ، الحضارات القديمة ج1 ، ت ، نسيم واكيم اليازجي ، منشورات دار علاء الدين ، 2000 ، ص18 .

(5) عبد المنعم المحجوب ، ليبيا القديمة ، دار الاتحاد للنشر والتوزيع ، 2018 ، تونس ، ص143 ، 144 .

(6) طه باقر ، أقدم عصور ما قبل التاريخ ، بغداد ، 1955 ، ص 29 – 30 .

(7) عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 43 ، 44 .

(8) محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية 1990 م ، ص 10 . وكذا مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، المطبعة الأهلية ، بنغازي ، 1966 ، ص1 ، 2 .

(9) عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص42 .

(10) محمد علي عيسى ، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية ، دار الأصالة والمعاصرة ،ط1 ، 2009 ، ص 39 .

(11) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص 11 .

(12) محمد عيسى ، المرجع السابق ، ص39 .

(13) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص 12 .

(14) خزعل الماجدي ، كنوز ليبيا القديمة ، دار زهرا للنشر والتوزيع ، 2008 ، ص 62 ، 63 .

(15) ج. كامب ،البربر الذاكرة والهوية ، ت ، جاد الله عزوز الطلحي ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2005 ، ص ص71 ،379 .وكذا عبد اللطيف احمد علي، المرجع السابق ، ص47 .

(16) جيهان ديزانج، البربر الاصليون ، تاريخ أفريقيا العام ، مج2 ، جين أفريكو اليونسكو ، ص432 .

(17) مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص4 ، 5 .

(18) يشير بعض الباحثين أن منطقة قفصة ربما كانت تختلف عما عليه الآن حيث كانت أكثر جفافاً وكثيرة الحجارة . ينظر حفيظة لعياض ، دروس في مقياس ما قبل التاريخ الشمال الأفريقي ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعي ، جامعة محمد بوضياف، 2020 ، ص29 .

(19) محمد المختار العرباوي ، البربر عرب قدامى ،ط1 ، المجلس القومي للثقافة العربية ،الرباط ، 1993 م ، ص111 .

(20) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص25 .

(*) هي ركام من الرماد أو الحجارة التي استعملت كأواني للطبخ لنوع من القواقع وتبلغ أبعادها من 200 م طولاً و50 م عرضاً و5م إرتفاع . ينظر محمد مهران ، المرجع السابق ، ص25 .

(21) محمد علي عيسى ،المرجع السابق ، ص50 .

(22) ج . كامب ، المرجع السابق ، ص71 .

(23) العرباوي ، المرجع السابق ، ص111 .

(24) جيهان ديزانج ، البربر الأصليون ، تاريخ أفريقيا العام ،مج 2 ، جين أفريكو ،د.ت ، ص432

(25) العرباوي ، المرجع السابق ، ص111 .

(26) عبد المنعم المحجوب ، المرجع السابق ، ص143 ، 144 .

(27) اصطفيان اكصيل ، تاريخ شمال أفريقيا القديم ، ج1 ، ت ، محمد التازي سعود ، 2007 ، ص165 ،167 ،171.

(28) فولفغانغ تاواته، الصحراء الكبرى(نهاية العصر الحجري القديم في شمال أفريقيا)، ت، مكاييل محرز، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،1979 ، ص57 .

(29) خزعل الماجدي ، المرجع السابق ، ص 62 .وكذا حفيظة لعياض، مرجع سابق ، ص35 .

(30) العرباوي ، المرجع السابق ، ص 112 .

(31) ج . كامب ، المرجع السابق ، ص70 ، 74.وكذا العرباوي ، المرجع السابق ، ص112 .

(32) المرجع نفسه ، ص78 ، 79 .

(33) نفسه ، 78 ، 79 .

(34) ديزانج ، المرجع السابق ، ص432 .

(35) نفسه ، الصفحة نفسها .

(36) كامب ، المرجع السابق ، ص78 . العرباوي ، المرجع السابق ، ص113 .

(37) كامب ، المرجع السابق ، ص74 . وكذا العرباوي ، المرجع السابق ، ص 113 .

(38) ديزانج ، المرجع السابق ، ص432 ، 433 .

(39) كامب ، المرجع السابق ، ص 74 . ديزانج ، المرجع السابق ، ص432 ، 433 .

(40) ديزانج ، المرجع السابق ، ص432 ، 433 .

(41) ديزانج ، المرجع السابق ، ص432 .

(42) نفسه ، الصفحة نفسها .

(43) ج. كامب ، المرجع السابق ، ص 72 وكذا نفسه ، الصفحة نفسها ، وكذا حفيظة لعياض ، مرجع سابق ، ص 30 .

(44) عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص47 .